تاريخ دير مار انطونيوس الملقَّب بقزحيَّا

نبذة تاريخيَّة لحضرة الاب الفاضل نعمة الله الكفري

اثبتنا في عدد سابق (راجع المشرق ٤: ٣٦١–٣٦٨) تاريخ دير قزحيَّا ولخَّصنا اخبارهُ عن الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات منذ اول انشائه الى زمن انقسام الرهبنة الى حلبيَّة وبلديَّة وذلك سنة ١٧٦٨. فبقي علينا ان نُجمل الكلام عن تاريخ الدير المنوَّه بهِ منذ ذلك العهد الى يومنا فنقول:

انَّ دير قزحيَّا زاد اتساعاً في أواخر القرن الثامن عشر ونمت املاكهُ وكثر رهبانهُ. وممَّا أحرز لهُ حينئذٍ شهرة كبيرة مطبعتهُ التي ورد ذكرها في المشرق (٣: ٢٥١) في تاريخ فنّ الطباعة. والذي احضر هذه المطبعة الاخ ساروفيم الشرشاني (حوقا) البيروتي المتوفَّى سنة ١٨١٤. كان هذا الراهب الفاضل أُرسل الى رومة في عهد الاب عمانوئيل الرشاوي الرئيس العام على الرهبنة ليقوم بطبع الشبيَّة المارونيَّة بالحرف الكرشوني على نفقة رهبانيَّتهِ فلمَّا اتمَّ طبعها سنة ١٧٨٢ تحت مناظرة الاب سمعان خُضير معلّم العبرانيَّة في المدرسة الرومانيَّة عاد الى لبنان ومعهُ المطبعة المذكورة مجهَّزة بكل أدواتها ولوازمها فجعلها اولًا في دير مار موسى الحبشي الملقَّب بالدوَّار وطُبع هناك كتب قليلة كخدمة القداس (١٧٨٥) ثم كتاب القداس والرسائل والشحيمة الكاملة. ومن هذه المطبوعات ما طُبع بالحرف السرياني الدقيق

ولمَّا صار زمام الرئاسة العامَّة في يد الاب اغناطيوس بليبل نُقلت المطبعة الى دير قزحيَّا نحو سنة ١٨١٥(١). ثم امر سنة ١٨٢٠ الاب ارسانيوس النيحاوي رئيس الدير ان يخصَّص لها بشرقي الدير محلّ منفصل عنهُ قليلًا فبُني قبو عقد كافٍ لادارتها ولوازمها وفوقهُ محلّ للمطبوعات وتجليدها. فتمَّ ذلك على يد الاب عبد الله الاهمجي الشهير وتقنَّن بتانة

(١) ونحن نظن ان المطبعة نُقلت الى دير قزحيا قبل ذلك بنحو ١٠ سنوات والدليل على قولنا انهُ يوجد نسخة من الشبيَّة مطبوعة بدير قزحيا تاريخ طبعها سنة ١٨٠٨ (راجع المشرق ٣: ٢٥٧)

أبنيته. وأضيف الى البناء ممشى شرقي يُعرف الى يومنا باسم الرئيس المذكور مع انهُ لم يتمّ الّا في زمن خلفهِ الاب مرقس الشنتيري بنساءُ الاخ يوسف المادي. وكان دولاب هذه المطبعة من الخشب يُمدّ الحبر على حروفها بمحابر من جلد ثمَّ بُدل دولابها بدولاب صغير من حديد. ولمَّا كانت السنة ١٨٧١ اشترى رئيس قزحيا الاب دانيال الحدثي من المرحوم دومانوس يمين الاهدني مطبعتهُ فاتخذها بدلًا من المطبعة القديمة (راجع المشرق ٤:٤٧٤). اما قائمة المطبوعات التي نُشرت في قزحيا فقد ظهرت لانحتها في هذه المجلة (٣:٢٥٧) فلا حاجة الى التكرار. وقد تولى ادارة مطبعة قزحيا منذ نشأتها ثلاثة من رهبانها الافاضل وهم الاخ ساروفيم حوقا ثم الاب مرقس اهمج ثمَّ الاب مارون ايطو وهو مديرها الحاليّ

وفي سنة ١٨٤٢ بنى الاخ عبد الله الخبَّاز جسرًا لطاحون نهر ابي علي خاصة دير قزحيا حينئذٍ وكان الاخ المذكور تلقى فن البناء على الاب عبد الله الاهمجي. وبنى ايضًا سنة ١٨٥١ جسرًا لنهر رشعين في ملك دير قزحيا على عهد رئيسهِ الاب اندراوس القرطباوي وكان رئيسًا عامًّا على الرهبانيَّة الاب لورنسيوس الشبابي

وفي سنة ١٨٥٦ توفي في محبسة مار بولا السابق ذكرها الراهب انطونيوس الصغابي كان ذا سيرة فاضلة جدًّا اختلى في هذه المحبسة فسكنها سنين عديدة وكان يقضي اكثر زمانهِ في الصوم والصلاة لا يأكل الّا مرَّة واحدة في النهار عند المساء. وكان طعامهُ الخبز وحدهُ يغمسهُ في قليل من الزيت. وكان سبقهُ في هذه المحبسة كثيرون من افاضل الرهبان منهم الاب اليشاع المادي الذي صرف أعوامًا عديدة في التأمل والصلاة وكان اذا صلى دخل مغارة صغيرة فوق المحبسة فبسط يديهِ على شكل صليب لا يثنيهما واذا تخدَّرتا سندهما الى حبل معلق بسقف المغارة كما شهد على ذلك رهبان كانوا يرقبونهُ

وفي سنة ١٨٥٥ ترأس على دير قزحيا الاب اغناطيوس شكري الديراني فشرع بعمار القسم الغربي من الدير بازاء الابنية التي شيَّدها الاب ارسانيوس فهدم البناء القديم ثم بنى اقبية واقام فوقها قلالي وحُجرًا وفرشها بالبلاط وهندس لهذا الطابق ممشى لجهة النهر برواقٍ وقناطر مرتفعة فانتهى من هذا العمل سنة ١٨٥٧ وقد انفق عليه ١٦٠٠٠٠ غرش. وكان اذ ذاك الرئيس العام على الرهبنة الاب عمانوئيل المتيني

وفي سنة ١٨٦٤ أُقيم لرئاسة الدير الاب بطرس بجدرفل وكان المذكور تلقى بعض

العلوم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير . فاول ما صرف اليهِ همتهُ توسيع الكنيسة . وكانت قبلًا مغارة ذات جدار واحد من جهة الجنوب فهدمهُ ونقر الصخر حتى اتسعت الكنيسة طولًا وعرضًا ثم اقام جدارًا جديدًا من الحجر السُّماقي المنحوت الجبليّ استحضره من مقلع بين اهدن وعربة قزحيا . اما الابواب والشبابيك فنقل احجارها من مقلع جبل حصرون . فاصبحت بذلك الكنيسة كبيرة بديعة ثلثا سقفها من اصل المغارة والثلث الآخر من عقد الحجارة . ثم اتخذ لها منجورًا فاخرًا ووكل الى عملة من حلب ان يبلّطوها بالرخام واقام لها اربعة مذابح لجهة الصخر المنقور ومذبحًا خامسًا في الحائط باسم السيدة . وجهّزها بحلل كنسيَّة فاخرة . وكان اوصى لها بمذبح وعواميد رخام ودفع لذلك ٣٠٠٠ غرش الَّا ان العمل لم يتمّ الَّا في ايام رئاسة خلفهِ الاب رافائيل عوّاد الحصروني الذي انجز هذا المشروع وزيّن الكنيسة بصور جميلة وبلغ مجمل كلف تجديد الكنيسة معلوازمها ١٢٩٦٦٦ غرشًا وكان الرئيس العام وقتئذٍ الاب افرام البشرّاني

امَّا منزل الزوَّار غربيّ الدير فكان الساعي بهِ الاب مارون الصغابي لمَّا تولى الرئاسة من السنة ١٨٨٦ الى ١٨٩٠ فبنى ردهة كبرى لاستقبال الضيوف واربع قلالي مع ممشى وايوان للترب على ظهر القبو . واكمل هـذا العمل الاب بطرس التولاوي مدَّة رئاستهِ وجهّز هذه الدار بالاثاث والامتعة وكان هـذا الاب من افاضل الرهبان تلقّى العلوم بمدرسة الآباء اليسوعيين في غزير وقد استأثر الله بهِ منذ اشهر قليلة

امَّا املاك دير قزحيا فهي وافرة جدًّا منها في الساحل ومنها في الجرد . والبعض منها اوقاف حبسها المحسنون على الدير لاسيما في زاوية طرابلس تبرَّع بها المشائخ من بيت الظاهر وغيرهم . امَّا القسم الاعظم فهو مشترى اقتناهُ الرهبان بشغلهم وجدّهم والفضل في ذلك عائد خصوصًا للاب اغناطيوس بليبل الذي ضبط ازمَّة الرئاسة العامَّة مدَّة سبعة مجامع متواصلة اي من سنة ١٨١١ الى ١٨٣٢ وكان قبل ذلك أقام باعباء النيابة العامَّة سنتين لوفاة الاب عمانوئيل جميل سنة ١٨٠٨ وفي أيامهِ نمت الرهبانية نموًّا عظيمًا بالروحيَّات والزمنيَّات فشيَّد اديرة كثيرة وجدَّد الاملاك وأعاد الرهبان الى حفظ قوانينهم ورسومهم . وأقام الاخ مارون البعدادتي على نظارة الاملاك وكان رجلًا تقيًّا ذا فطنة وغيرة على نجاح الرهبنة . فنصب أغراسًا كثيرة من التوت والزيتون فتوفَّرت مداخيل الدير بذلك وعمَّر طواحين على نهر رشعين وكذلك زادت مداخيل الاملاك في الجرد وكان

ايضاً الزوّار يُجزلون الصدقات على الدير لاسيَّما بعد ان نال كثيرون منهم الشفاء فيه بشفاعة صاحب المقام القديس انطونيوس الكبير

ومن جرّاء هذا النجاح كثر عدد الرهبان حتى بلغ المئة فاضطرَّ الرؤساء الى ان يخفّفوا عبء هذا الدير فأقاموا لذلك ثلاثة أديرة في الساحل انفصلت منهُ وهي دير الجديدة شرقي قرية كفر زينا على اسم مار انطونيوس ابي الرهبان ثمَّ دير عشاش شمالي الزاوية فوق مدينة طرابلس على اسم مار جرجس أنشئا سنة ١٨٤٩ على عهد رئاسة الاب عمانوئيل الشبابيّ العامة. ثم دير بصرما على اسم سيدة النجاة في كورة طرابلس أُنشئ سنة ١٨٧٦ أيام كان رئيساً عاماً على الرهبنة الاب مرتينوس الفوسطاوي. وقد جُهزت هذه الاديرة بكل ما يُقتضى لمعاش الرهبان وجُعل لكل دير أملاك يتولى الاخوة شؤونها. وكان الفضل في بناء دير بصرما للاب دانيال الحدثي الذي امتاز بالبرارة والفضائل ومات برائحة القداسة فدُفن في دير مار سركيس ولا تزال الكرامات تظهر فوق قبرهِ حتى اليوم

وفي سنة ١٨٥٥ استُحضرت مطبعة عربيَّة لدير السيدة في طاميش ودفع دير قزحيا خمسين الف غرش من ثمنها. وكان ذلك بواسطة الدكتور ابرهيم افندي الديراني الطبيب. وقد ادرج المشرق قائمة مطبوعاتها سابقاً (٤ : ٤٧٣)

وقد أُخذ من أملاك قزحيا في الجرد قسم قليل أُعطي لدير راهبات مار سمعان العموديّ المعروف بمار سمعان القرن وذلك لمّا سلَّم المرحوم المطران بولس رزق مطران طرابلس تدبير هذا الدير للرهبان البلديين سنة ١٨٦٤وموقعهُ فوق عربة قزحيا قبليّ قرية قيطو وكان يسكنهُ ست راهبات. فرتى الاب افرام البشراني الرئيس العام ديونهُ واشترى لهُ أرزاقاً من دخل وظيفته ومن املاك دير قزحيا وجعلهُ ديراً كبيراً. وكذلك خصَّص لمدرسة بان التي تخصُّ الرهبنة بعض املاك اخذها من دير قزحيا. ومع كلّ ذلك لا يزال رهبان هذا الدير نحو سبعين راهباً وقاهُ الله من صروف الدهر وابقاهُ فخراً وملاذاً للرهبنة والطائفة بدعاء صاحب المقام

وتتمةً للفائدة قد ألحقنا بهذه النبذة لائحة اسماء الرؤساء الذين دبَّروا دير قزحيَّا منذ انشائهِ نقلاً عن سجلَّات الرهبانيَّة :

اسماء الرؤساء	ابتداء رئاستهم	اسماء الرؤساء	ابتداء رئاستهم
جبرائيل فرحات	١٧١٠	ارسانيوس البيطاوي	١٨٣٠
ميخائيل . . .	١٧١٥	مرقس الشنتيري	١٨٣٣
يمين . . .	١٧٢٣	مكاريوس وادي شحرور (١)	١٨٢٦
جرجس القشوع (١)	١٧٢٥	عمانوئيل الشبابي	١٨٣٢
مبارك النوسطاوي	١٧٢٧	مكاريوس وادي شحرور (٢)	١٨٣٥
مارون الدرعوني	١٧٣٥	نعمة الله المصروني	١٨٣٨
بولس يونان السمراني	١٧٤٠	سابا الفاقوري	١٨٤٠
مبارك عيد	١٧٤٣	اغناطيوس سركيس	١٨٤٢
جرجس القشوع (٢)	١٧٤٥	يوسف البشراني	١٨٤٥
ميخائيل شوشان	١٧٥٠	اغناطيوس شكري (١)	١٨٤٧
ميخائيل عيد	١٧٥٤	اندراوس قرطباوي (١)	١٨٥١
(مفقود الاسم)	١٧٥٧	اغناطيوس شكري (٢)	١٨٥٣
عبد الاحد كفركدي	١٧٦٠	لياوس تنوري	١٨٥٦
(الاسم مفقود)	١٧٦٢	اندراوس القرطباوي (٢)	١٨٥٩
ارميا الكفروني (١)	١٧٦٥	بطرس بجدرفل	١٨٦٢
شربل الحويس	١٧٦٩	دانيال المدني	١٨٦٥
نعمة الله الحويس	١٧٧٢	روفائيل البزعوني (١)	١٨٧١
ارميا الكفروني (٢)	١٧٧٥	رافائيل المصروني	١٨٧٥
بولس المزرعاني	١٧٧٨	انطونيوس المصروني (وكيل)	١٨٧٧
مرقس المرقب	١٧٨١	عمانوئيل الرشماني	١٨٧٧
ارميا الكفروني (٣)	١٧٨٤	مارون ايطو (١)	١٨٨٠
اقليموس المكاري	١٧٨٧	رافائيل البزعوني (٢)	١٨٨٤
اقليموس الشبابي (١)	١٧٩٠	مارون ايطو (٢)	١٨٨٥
ارميا الكفروني (٤)	١٧٩٣	مارون صنابي	١٨٨٦
ماتيا المتيني	١٧٩٦	عمانوئيل البشراني	١٨٩٠
اغناطيوس بليبل	١٧٩٩	بطرس تولا	١٨٩٠
برنردوس الديه	١٨٠٥	مارون ايطو (٣)	١٨٩٤
جبرائيل الديراني	١٨٠٨	مارون سرعل	١٨٩٥
اقليموس الشبابي (٢)	١٨١٠	افرام سرعل	١٨٩٧
برنردوس التزيري	١٨١٤	انطونيوس المشمشاني الحالي	١٨٩٩

وهذه اسماء المتوفين برائحة القداسة نقلاً عن روزنامة الدير المذكور :

اسماؤهم	سنة الوفاة	اسماؤهم	سنة الوفاة
الاب اغناطيوس من زوق مصبح (١	١٨١٤	الاب اكليمنضوس التوري	١٨٣٧
الاب انطونيوس الميس (٢	١٨٢٥	الاخ مرتينوس التزيري	١٨٣٩
الاخ نومرا المتيني (٣	١٨١٧	الاخ جراسيموس اللحفدي	١٨٣٩
الاب البشاع المادي (٤	١٨١٩	الاخ مبارك الموصلي	١٨٥٦
الاب حنانيا التوري	١٨٢١	الاب انطونيوس الصنابلي (٦	١٨٥٦
الاب يوسف بكاسيني	١٨٥٦	الاب جبرائيل الشبابي	١٨٦٤
الاخ لورنسيوس من ستي لاند	١٨٢٣	الاخ باخوس الباني (٧	١٨٧١
الاخ ميخائيل الطرابلسي	١٨٣٤	الاب حنانيا المصروني	١٨٨٩
الاب انطونيوس الروفي	١٨٢٥	الاب دانيال البشراني	١٨٩٥
الاب جبرائيل البزعوني (٥	١٨٣٢	الاب مارون سرحل	١٨٩٨
الاب جبرائيل الديراني	١٨٣٣		

هؤلاء الذين اطرأت الروزنامة حسن سيرتهم ومزيد فضلهم وذكرت كثيرين انهم ماتوا ميتة صالحة لم اتعرَّض لذكرهم واهملتُ ذكر بعضهم مثل الاخ مبارك من الديسة والاخ ارميا العكاري المشهود لهما بحسن السيرة من سكَّان الدير الذين عاصروهم

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق ص ٥٢٠)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

في آخر كلامنا عن فنّ الطباعة في المشرق انجزنا تاريخ المطابع في لبنان فلم يبقَ

١) وهو الذي شيَّد دير اللويزة واوهبهُ للرهبنة
٢) بعد جهادهِ مدات حبس نفسهُ ضمن قلاية سنتين حبساً تاماً وعرف ساعة وفاتهِ قبل يومين
٣) حفظ نذورهُ مدقّقاً ولم يكن يرقد الّا على قطعة بساط من شعر
٤) كان حبيساً مكث في الحبسة ٣٠ سنة والتقليد يشهد بسموّ فضلهِ
٥) اشتهر بتعبُّدهِ للعذراء المجيدة
٦) ومن اعمالهِ كان لا يأكل سوى الخبز والزيت
٧) رؤي حال تراعهِ حمامة بيضاء ترفّ فوقهُ وبعض الشهود احياء

ملكوت السماوات ومعناها في انجيل متّى

للاب مرسال شوسا اليسوعي مدرّس الفلسفة

قرأنا في الجزء الثاني من قاموس الكتاب المقدَّس الذي نشرهُ حديثًا الدكتور جورج بوست ما كتبهُ في شرح لفظة « ملكوت السماوات » قال (ص ٣٧٥):

ان عبارة «ملكوت السماوات تفيد عدَّة معانٍ: حياة التقوى في القلب (مت ٦: ٢٢) والنظام الذي اتى المسيح لينظّمهُ (مت ٤: ١٧ و ١٣: ١١) وتنقُّل شعب اسرائيل حسب اختيار الله (مت ٢١: ٤٣) ومجد المسيح وتسلُّطه (مت ٦: ٢٨) وسلطان الله على الكل (مت ٦: ١) والحالة السموية (مت ٨: ١١) . . . . اماً الكنيسة المنظورة فليست الملكوت غير انَّها تشبههُ وهي نظير مدرسة تعلّم اعضاءها كيفيَّة هذا الملكوت والاستعداد لهُ واماً الكنيسة غير المنظورة فهي ملكوت السماوات »

فرأينا في هذا الشرح ما لا يوافق الواقع ولذلك احببنا ان نعمل النظر في هذه العبارة لنقف على معناها الاصليّ ومعانيها الثانويَّة المشتقَّة منها فنقول:

ان عبارة « ملكوت السماوات » وردت في الاسفار المقدَّسة ٣٢ مرَّةً وما يُقضى بهِ العجب انَّها وردت في انجيل القديس متَّى وحده فلا ترى لها اثرًا في غيرهِ من المبشّرين. وانَّما جاءت على صورة أُخرى في اسفار العهد الجديد فيقال « ملكوت الله » او « ملكوت الآب ». فينبغي اذن وفقًا لقوانين تفسير الكتاب ان نبحث عن معنى كلّ لفظة بمفردها ثم عن معناها الاضافيّ ونقابل بين هذه العبارة وبين النصوص الشبيهة بها الواردة في الاسفار المنزلة فضلًا عن مراعاة لغة الكتبة ولغة الجمهور

ونقدّم اوَّلًا شرح لفظة « السماء » في قولهِ « ملكوت السماوات » لنتَّسع بعد ذلك في تفسير كلمة « الملكوت » فنقول:

يراد بالسماء في عرف الشعوب اجمالًا وبلفظهِ العربي خصوصًا ما سما فوق رأسنا اي ارتفع من شبه قبَّة زرقاء مرصَّعة بالكواكب تمتدُّ الى الآفاق. ثمَّ تصوَّر الناس انَّ عرش الله ومقامهُ وراء هذه القبَّة لحسنها وسموّها فقالوا انهُ تعالى يسكن السماء (مزامير ٢: ٤) وقال يعقوب اذ نظر في الحلم سُلَّمًا منتصبة على الارض ويستند رأسها الى قبَّة السماء والربّ واقف فوقها (تك ٢٨: ١٧): « ما اهول هذا الموضع ما هذا الّا بيت

الله هذا باب السماء » ومن ثمَّ نسبوهُ عزَّ وجل الى السماء فدعوه « إله السماء » او « إله السماوات » (تك ٢٤ : ٧ و ٢ تث ٣٦ : ٢٣)

ثمَّ اقتصر الناس على اسم السماء او السماوات فدعوا به الرب الإله على طريقة المجاز المرسل كما هو جارٍ في اصطلاح كلّ الشعوب . ألا ترانا نقول مثلًا : « انتصرت فرنسة على العدوّ » ونحن نريد اهل فرنسة . ونقول : « حكم عليهِ المجلس » اي اصحابهُ فكذلك دُعي سبحانهُ وتعالى باسم السماء . ونحن نريد « مَلِكُ السماء » . مثال ذلك ما جاء في سفر دانيال (٤ : ٢٣) حيث انذر النبيُّ نبوكدنصَّر بالعقاب قال : « ان ملكك يُبقى لك بعد ان تعلم ان السلطان للسماوات » يريد ان السلطان لله فعبَّر عنهُ بالسماوات . ومثل هذا ليس بنادر في الاسفار الالهيَّة (راجع سفر المكابيين الاوَّل ٣ : ٥٠ و ٤ : ١٠) وهو يوافق كلَّ تفاسير المفسرين وينطبق على الاستعمال اللغويّ

وعليهِ ترى ان للفظة السماء معنيين معنًى حقيقيّ وهو ما تنظرهُ العيان كأنَّ اليهِ نيطت الكواكب يتخيَّلهُ البشر كسكنهِ تعالى . ومعنًى مجازيّ يُراد به اهل السماء وخصوصًا الرب تبارك اسمهُ

فهلمَّ بنا الآن نُمعن النظر في معنى لفظة الملكوت . ولمَّا كانت هذه اللفظة في العربيَّة توافق وزنًا ومعنًى الكلمة العبرانيَّة מלכות والسريانيَّة ܡܠܟܘܬܐ دعنا نتبيَّن ما كتبهُ العرب في معجماتهم عن هذه اللفظة . قال ابن الاثير في النهاية : « الملكوت اسم مبنيّ من المُلك كالرهبوت من الرهبة والجبروت من الجبر » وقال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون (ص ١٣٣٩) : « الملكوت صيغة المبالغة بمعنى المُلك والملك هو التصرُّف الصحيح بالاستعلاء . » وقال في القاموس : « ان الملكوت العزّ والسلطان » . قال في التاج : « يُقال ملكوت العراق وملكهُ اي عزُّهُ » وقال في مفردات الراغب : « والملكوت مختصَّة بملك الله عزَّ وجلّ » وشرح اللحياني قولهُ « وبيده ملكوت كل شيء » اي سلطانهُ وعظمتهُ

فيتبيَّن من هذه الآراء انَّ الملكوت مرادفة للفظة المُلك وانَّ لها كل معانيها . وان سأل سائل وما هي معاني لفظة المُلك قلنا انَّ للملك ثلاثة معانٍ : الاول المملكة اي تخوم معلومة يملك عليها الملك وفي هذا المعنى يُضاف الى اسم علم شخصيّ والى اسم مكان او اسم شعب . فنقول مثلًا : مُلك يهوذا وملك ايطالية وملك الكلدان اي البلاد التي يحكم عليها يهوذا ومَلِك ايطالية والكلدان

ويلحق بهذا المعنى الاول للملك معنًى آخر مجازي يراد به اهل المملكة والشعب الخاضع لحكم الملك كما قلنا سابقاً عن السماء انهُ يعني ايضاً صاحب السماء.

والمعنى الثاني للمُلك هو مشتقٌ من هذا المعنى الاول ويدلّ على إمرة الملك وتدبيرهِ لمملكتهِ وسياستهِ لرعيّتهِ وبهذا المعنى لا يضاف الّا لعلَم شخصي فتقول: مُلك داود ومُلك المسيح » تريد تملُّكهما ورعاية دولتهما. ولهذا المعنى الثاني ايضاً معنًى استعاري اذ تُضاف لفظة المُلك لبعض اسامي المعنى فيقال مثلاً: « مُلك النعمة وملك الخطيئة » اي تسلُّطهما. وكذلك نقول « مُلك الحب » اي نفوذهُ وسيطرتهُ

امَّا المعنى الثالث للفظة المُلك فهي السلطة الملكيَّة والعزّ والسلطان. وهذا المعنى كثير في العربيَّة وغيرها. ويُستعار للدلالة على اُبهة المُلك وجاهه

فهذه المعاني الثلاثة للمُلك مرتبطة بعضها ببعض يشتقُّ احدها من الآخر اشتقاقاً طبيعياً

واذا اعتبرتَ لفظة « الملكوت » رأيت لها معاني « المُلك » الثلاثة الّا انها مختصة بالله عزَّ وجلَّ كما سبق عن الراغب الاصفهاني. وربَّما وردت في غيرهِ تعالى كما جاء في القاموس حيث قال « ملكوت العراق » اي ملكهُ. ويؤيد اطلاقها على ما سوى الله ان السريان والعبرانيين يستعملونها كذلك واللفظة العربيَّة مأخوذة من العبرانية والدليل عليه ان وزن « فَعَلوت » ليس بعربي كما اقرَّ بذلك اهل اللغة

فلنَعُد الآن بعد هذه المقدمات الى تفسير عبارة « ملكوت السماوات » فنقول ان لفظة « الملكوت » بنسبتها الى « السماوات » انحصر معناها وتقيَّد فلم تَعُد تُطلق على المعنيين الاخيرَين بل على المعنى الاوَّل فقط لاضافتها الى اسم مكان. وقد قلنا في تفسير معنى « السماوات » انها تدلّ على مكان وخصوصاً على مسكنهِ تعالى عزَّ وجل. فقولنا اذن « ملكوت السماوات » يراد بهِ المكان الذي فيهِ مُلك الله عزَّ وجلّ او المُلك الذي هو في السماء. وهذه العبارات مرادفة لقولنا « الملكوت السماوي » كما انَّ قولنا « مملكة فرنسة » و « المُلك الفرنساوي » عبارتان مترادفتان

واذا تصفَّحنا انجيل القديس متى حيث وردت هذه العبارة وجدنا انَّ كثيرًا من الآيات التي تتضمَّنها يراد بها هذا المعنى اي الملكوت السماوي او السماء حيث يملك الله عزَّ وجل بين اوليائه. قال البشير المذكور في الفصل السابع (ع ٢١) عن لسان الرب:

« ليس كلُّ من يقول لي : يارب يارب يدخل ملكوت السماوات لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السماوات هو يدخل ملكوت السماوات »

فمن تبيَّن هذه الآية يجد ان المراد هنا محلٌّ مخصوص لا يبلغهُ سوى الابرار الذين يتمّمون ارادة الله . ويظهر ذلك من لفظة « الدخول » التي استعملها ومن قرينة الكلام السابق حيث قال الرب : « ادخلوا من الباب الضيّق لانهُ واسع الباب ورحبٌ الطريق الذي يؤدي الى الهلاك . . . ما اضيق الباب وأحرج الطريق الذي يؤدي الى الحياة . . » فبيَّن جليًّا ان المراد بملكوت السماوات هو مكان الحياة الذي يملك فيهِ تعالى مع الصالحين

وكذلك جاء في متّى (٨ : ١١—١٢) : « اقول لكم ان كثيرين يأتون من المشارق والمغارب ويتّكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السماوات امَّا بنو الملكوت فيُلقَون في الظلمة البرانيَّة هناك يكون البكاء وصريف الاسنان » فذكرهُ للظلمة البرَّانيَّة وللبكاء وصريف الاسنان لم يُبقِ شكًّا في انَّ المراد بملكوت السماوات مقام الله واوليائهِ في السماء اذ قابل بين حالة المختارين المنعَّمين في السماء وحالة الهالكين المعاقبين في الجحيم

وكذلك ايضًا في الفصل التاسع عشر (ع ٢٣) قال الرسول عن لسان الرب : « انهُ يعسر على الغني دخول ملكوت السماوات » وهنا يراد بملكوت السماوات بلا شك السماء ومقام الله مع قديسيهِ . يدلُّ على ذلك ما يتقدم هـذه الآية وقد اخبر المبشّر ان شابًّا غنيًّا جاء الى يسوع وطلب منهُ « ماذا اعمل من الصلاح لأرث الحياة الابديَّة » اعني انهُ سألهُ ما هي الطريقة لكي يحظى بالسماء . ولمَّا اشار اليهِ المسيح ان يبيع كل مالهِ ويتبعهُ ليكون لهُ كنز في السماء ذهب الشاب كئيبًا فحينئذٍ قال الرب : « انهُ يعسر على الغني ان يدخل ملكوت السماوات »

فكل هذه النصوص وغيرها ايضًا تدلّ بنوعٍ واضح على انَّ عبارة « ملكوت السماوات » في بشارة القديس متّى تـدلُّ على السماء والملك الابدي الذي لا يدخلهُ الَّا الذي يتمّمون ارادتهُ تعالى ويتجرَّدون من حبّ الغنى ويمارسون العفة ويخصون انفسهم من اجل ملكوت السماوات (متى ١٩ : ١١) ويعملون غير ذلك من الاعمال الصالحة التي تؤهل الانسان للدخول في الحياة الابديَّة

*

وهذا المعنى الاول قد سلّم به الدكتور پوست في النص الذي اثبتناهُ عنهُ. ولكن الذي انكرهُ جنابهُ انَّ عبارة ملكوت السماوات لا يراد بها الكنيسة المنظورة. وقولهُ هذا يوافق تعاليم اصحاب الاصلاح الموهوم الذين ينكرون ان المسيح اقام جماعة منظورة على الارض وسلّم لبعض افرادها سياسة المؤمنين

فلكي نبطل هذا الزعم يقتضي علينا ان نبيّن ان عبارة «ملكوت السماوات» تدلُّ حقيقةً ايضاً على معنًى آخر صحيح اي على ملك المسيح المنظور وعلى الجماعة التي اقامها على الارض وسلّم مقاليد سياستها الى هامة الرسل بطرس الصفا فنقول:

قلنا في شرح لفظة السماء ان من معانيها الثابتة في الكتاب الكريم «صاحب السماء» كما يقال «بيت فلان» اي اهلهُ واصحابهُ على طريقة المجاز المرسل. فينتج من ذلك ان قولنا «ملكوت السماوات» يمكن تأويلها ايضاً بمعنى «ملكوت إله السماوات» او «ملكوت الله» وهذا ايضاً لا ينكرهُ علينا احد ويسهل اثباتهُ بالانجيل الطاهر فاننا اذا قابلنا بعض اقوال الرب التي اوردها القديس متى مع أقوالهِ كما ذكرها القديسان مرقس ولوقا وجدنا ان هذين المبشرين بدلًا من «ملكوت السماوات» يرويان «ملكوت الله» فان قول متّى مثلًا (٣ : ٢) : «توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات» جاء في مرقس (١ : ١٥) : «قد اقترب ملكوت الله فتوبوا» وكذلك قول الرب في متى (٥ : ٣) : «طوبى للمساكين بالروح فان لهم ملكوت السماوات» ذكرهُ لوقا (٦ : ٢٠) : «طوبى لكم ايها المساكين فان لكم ملكوت الله»

ولكن ان كانت عبارة «ملكوت السماوات» مرادفة لعبارة «ملكوت الله» لا بدَّ من القول ان لكلتيهما معنى مُلك الله المنظور وخصوصاً ملك المسيح بواسطة كنيستهِ. ولبيان ذلك يقتضي ان نذكّر القراء ان الشعب اليهودي قبل مجيء ابن الله كان ينتظر بفروغ الصبر مُلكاً منظوراً وعدت بهِ الانبياء المسيحَ ابن داود مع شعبهِ المختار. قال دانيال (٢ : ٤٤) بعد ذكرهِ الممالك التي تقوم بعد المملكة البابليّة: «وفي ايام هؤلاء (اي الرومان) يقيم إله السماء مملكةً لا تنقضي الى الابد ومُلكهُ لا يُترك لشعب آخر فتسحق وتفني جميع الممالك وهي تثبت الى الابد» وقال في فصل آخر (٧ : ١٣—١٤) : «ورأيتُ.. فاذا بمثل ابن البشر.. أُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب

والامم والألسنة يعبدونهُ وسلطانهُ سلطانٌ ابدي لا يزول وملكهُ لا ينقرض ». وكان قبل دانيال بشّر بذلك غيرهُ من الانبياء كاشعيا وحزقيال وارميا وهوشع وميخا وزخريا ووصفوا مُلك المسيح وصفًا مدقّقًا لا يُبقي ريبًا في انهُ سوف يكون مُلكًا منظورًا يظهر في شعب يختاره الربُّ ويقدّسهُ ويختصهُ بنفسه

واذا فتحنا الانجيل وجدنا ذكر هذا المُلك في اوَّل صفحاته قال الملاك للعذراء (لوقا ١ : ٣١) : « تلدين ابنًا تسمينهُ يسوع . . وسيعطيه الرب الإله عرش داود ابيه ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكه انقضاء ». وهذا المُلك لم يسكت عنهُ المسيح عند كرازته لليهود بل تراهُ اول ما يبشّرهم بهِ ويقول لهم: « توبوا فقد اقترب ملكوت الله » ويسمّي انجيلهُ « انجيل المُلك » (راجع متى ٤ : ٢٣ و ٩ : ٣٥ ومرقس ١ : ١٤) . فترى من ذلك موافقةً تامةً بين نصوص العهد القديم والعهد الجديد فكلاهما يذكر مُلكًا للمسيح منظورًا ليس فقط خفيًا في القلوب وان كان هذا المُلك روحيًا لا زمنيًا كما كان يتخيّلهُ اليهود . وما هذا المُلك الّا ما يدعوهُ القديس متى « ملكوت السماوات » ويدعوهُ سائر الانجيليين « ملكوت الله » اعني بهِ كنيسة المسيح التي انشأها ليجعل فيها ملكهُ الى الابد

ويظهر هذا من عدَّة آيات ورد فيها ذكر « ملكوت السماوات » او « ملكوت الله » ممّا لا يمكن فهمهُ الّا عن هذه مملكة المسيح الارضيَّة والروحيَّة معًا اي الكنيسة المقدَّسة . قال عزَّ من قائل (متّى ٢٥ : ١ و٢) : « يُشبه ملكوت السماوات عشر عذارى.. خمسٌ منهنَّ جاهلات وخمسٌ حكيمات . الخ» . فترى من قرينة المعنى ان عبارة « ملكوت السماوات » لا تُطلق هنا على السماء مقرّ الطوباويين لان السماء لا يدخلها غير الابرار وترى بخلاف ذلك في الآية المذكورة عذارى جاهلات يطردهنَّ الرب من بيت العرس المكنّى بهِ عن مقام القديسين فليس الكلام اذن هنا عن السماء . وان استقرينا بقيَّة معاني هذه العبارة كما ذكرها الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدَّس لا نجد لها معنى يوافقها هنا الّا ان نقول انَّ المراد بها هنا كنيسة الله المنظورة . وهو رأي القديس توما شمس المدارس في تفسيره لهذه الآية ورأي القديس غريغوريوس اللاهوتي كما سترى

وقال ايضًا الرب لذكره السجود (متى ١٣ : ٢٤) : « يشبه ملكوت السماوات رجلًا

زرع زرعاً جيداً في حقله . . . فجاء عدوه وزرع في وسط القمح زؤاناً ومضى الخ) ثم قال في شرح هذا المثل (١٣ : ٣١) ان في وقت الحصاد اي يوم الدينونة سيُرسل الحصَّادون اي الملائكة ليفرقوا بين القمح والزؤان « فيجمعون من مملكته كلَّ الشكوك وفاعلي الاثم ويلقونهم في اتون النار » . فمن البديه ان عبارة ملكوت السماوات هنا لا تدل على دار الخلود وانَّما المراد بها كنيسة المسيح التي تحوي صالحين وطالحين فيُفرز بينهم يوم الدين . قال القديس غريغوريوس اللاهوتي في شرح مثل العذارى : « كيف استطاع الرب ان يشبِّه ملكوت السماوات بعذارى حكيمات وجاهلات ونحن نعلم انَّ السماء لا يدخلها احد من الأئمة الخاطئين ؟ ولكن علينا ان نعلم انهُ يراد في الاسفار المقدَّسة مراراً عديدة باسم « ملكوت السماوات » الكنيسة الحاضرة وعنها قد قيل في آية أخرى : يُرسل ابن البشر ملائكتهُ ويجمعون من مملكته الشكوك . والشكوك كما لا يخفى لا يمكن وقوعهُ في دار النعيم » انتهى كلامهُ

وكذلك شبَّه السيد المسيح (متى ١٣ : ٤٧) « ملكوت السماوات بشبكة أُلقيت في البحر فجمعت من كل جنس من جيد ورديّ » . وهذه الشبكة ليست الَّا الكنيسة التي اتخذ لها المسيح رسلهُ كصيَّادين يصطادون البشر ومن هؤلاء اخيار وأشرار يميزهم الله يوم الدينونة وقد نصَّ على ذلك الآباء والمفسّرون

وكذلك شبَّه (متى ١٣ : ٣١) « ملكوت السماوات بحبة خردل » صارت شجرةً كبيرة تستظل تحت اغصانها طيور السماء . أفلا يظهر لكل ذي عينين ان المراد هنا ليس السماء حيث السعادة دائمةٌ لا يطرأ عليها تغيير بل الكنيسة التي ظهرت في اول امرها صغيرة في اورشليم ثم امتدت الى اقاصي العالم فاستظل بها جميع الامم

وكذا قل عن امثال اخرى ورد فيها ذكر ملكوت السماوات ضربها الرب للدلالة على كنيستهِ المنظورة كمثل الملك الذي يجمع عبيده ليؤدوا لهُ الحساب (متى ١٨ : ٢٣) ومثل رب البيت الذي خرج صباحاً ليستأجر فعلةً (متى ٢٠ : ١) ومثل الملك الذي ارسل يدعو المدعوين لعرس ابنهِ (متى ٢٢ : ٢) وفي كل هذه الامثال لا يُراد بملكوت السماوات سوى كنيسة المسيح التي يصفها الرب بصفات متنوّعة فتارة يمثل رأسها وتارةً اعضاءها ومرةً تعليمها وطوراً الوسائط التي تتقدّس بها النفوس كالنعمة والاسرار حتى انهُ لو جمعنا بين هذه الصفات كلها لوجدنا انهُ لا ينقص سمةٌ من سمات الكنيسة الواحدة الجامعة

المبنيَّة على صخرة الايمان الثابتة . وهذه هي الكنيسة التي قامت بدلًا من الشعب اليهودي المستلم كنز « ملكوت الله ». قال الرب لليهود (متى ٢١ : ٤٣) : « اقول لكم ان ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأُمة تصنع ثمرهُ » فبيَّن بنوع جليّ ان الكنيسة صارت ملكوت الله ورثت هذه الرتبة بعد ان رذل الرب شعبهُ وريثهُ الاول لما وجد فيه من كثرة المآثم وعدم الاهليَّة

وخلاصة القول ان عبارة ملكوت السماوات تدل اصلًا في انجيل متى على السماء ودار الخلد حيث يملك الله مع اوليائهِ . ولكن لها معنًى آخر ثابتٌ صحيح وان كان مشتقًّا من المعنى الاصليّ اعني انها تدل على كنيسة المسيح والبرهان الاول على ذلك ترادُفها لعبارة « ملكوت الله » الدالة في أحوال كثيرة على هذه الكنيسة . والبرهان الثاني نصوص وآيات عديدة لا يمكن اطلاقها على السماء بل على الكنيسة . والبرهان الثالث اتفاق الآباء على هذا الشرح والبرهان الاخير ان المسيح جعل الكنيسة في مقام الشعب اليهودي وسلَّم اليها بدلًا منهُ « ملكوت الله » . وفي هذا يُنقض قول صاحب قاموس الكتاب المقدس الذي نكر كون الكنيسة المنظورة هي ملكوت السماوات . والسلام

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ومضت ثلاثة ايَّام على المريضة ونُوَب الانحطاط والاضطراب تتعاقب عليها دون ان يحدث تغيير محسوس في حالتها العموميَّة لان أدوار الهذيان كانت دائمًا تتجدَّد عليها بلا اختلاف في اعراضها

وبينما كان زين ساهرًا في ذات ليلة على امرأتهِ اخذتها نوبةٌ شديدة وصوَّرت لها الحمى انها لم تزل تائهة تحت البرَد والمطر في تلك الطرق المستوعرة التي مرَّت بها ثم اعاد الوهم على ذهنها زيارتها للاب يوحنا ذاك الشيخ البارّ فاخذت تبسط لهُ ادلَّة حبِّها لزوجها بلهجة من الاخلاص كانت لها حركة عظيمة في قلب زين واخيرًا تمثَّلت لها مقابلتها الاخيرة